وكما أن كلمة التوحيد تفرض في سبلها: «لا إله» معرفة كلّ إله باطل لنرفضه، ثم معرفة الله لنفرضه، كذلك في دار الاختبار الاختيار علينا أن نعرف الشيطان بشيطناته حتى لا نوقع في فخاخه، ومن ثم الطاعة الخالصة غير الكالسة ولا الفالسة لله وحده.

أجل ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حيث «اجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتم عن عبادته»[1] فقد «أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواءَه» و«اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه».

فالبصيرة الحاصلة على ضوء الفطرة والعقلية السليمة والوحي هي التي تطرد الشيطان، «ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله، وإن معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي» (١٠).

فلقد «حذركم - الله - عدوّاً نفذ في الصدور خفياً، ونفث في الآذان نجيا، فأضل وأردى، ووعد فمنى، وزين سيئات الجرائم، وهوَّن موبقات العظائم، حتى إذا استدرج قرينته - النفس الأمارة - واستغلق رهينته، أنكر ما زيَّن، واستعظم ما هوَّن، وحذر ما أمن» (٨١) «إن الشيطان يسني لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدفوا عن نزعاته ونفثاته» (١١٩).

ذلك و﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

وليس الإنسان أياً كان - ومعه أي كائن كان - ليعيش دون أية ولاية،

(١) (الخطبة ١).
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٩.

فهو بين ولاية الشيطان، وولاية الرحمن، فالخالط بينهما مشرك، وولي الشيطان - فقط - ملحد، وولي الرحمن موحد.

ذلك، وكيف بإمكان الشيطان أن ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ وقد ألبسهما الله إياه؟ إنه بما ولّاهما بغرور فاغترا به، بذلك قد سبب تلك العقوبة من الله لهما أن نزع عنهما لباسهما وأخرجهما من الجنة، فنزع اللباس والخروج من الجنة بين زوايا ثلاث، من الشيطان حيث أزلهما، ومنهما حيث زلا، ومن الله إذ عاقبهما بما زلّاً وضلّاً فلم يحل بينه وبينهما فيما زلّا، وترى أن رؤية الشياطين وسائر الجن مستحيلة لقبيل الإنسان؟

وقد يرون منهم من نفذت بصيرته، أم كان منهم في مسالكهم!.

هنا ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ لا تنفي أصل الرؤية، فإنما تنفي حيث الضلالة ككلّ، حيث يأتيكم شياطين الجن والإنس من حيث النصح وكما قال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾ مهما عرفوا حيث شخصه مهما قلت.

فالأكثرية المطلقة ممن يستنزله ويستضله الشياطين هم الأغفال الذين يستغفلون، فيؤتون من حيث «لا يرونهم» قصوراً عن تقصير، فـ«إنما بدء وقوع الفتن أهواء تُتبع وأحكام تُبتدع يخالَف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالاً فلو أن الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجى الله سبقت لهم من الله الحسنى»[1].

إذاً فـ ﴿الشَّيَـٰطِينَ﴾ هنا يعم شياطين الإنس إلى شياطين الجن، مهما كان عدم الرؤية في الآخرين يعم حيث الضلالة إلى رؤية أشخاصهم وهذا أضل

(١) نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

وأشجى، وترى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ . . .﴾ يجعله تعالى سبباً للإضلال؟ كلّا، فإنه جعل تكويني وترك للحاجز بينهم وبين الذين لا يؤمنون، دون دفع أو تحريض، وهكذا ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[١] ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[٢] واختيار المكلفين في دار البلية والاختبار من قضاياه هدى النجدين، وفسح المجال لهما أمام العالمين: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣] بفارق أن الله هادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[٤].

وأما الذين ضلوا فيذرهم في طغيانهم يعمهون، ويخلي بينهم وبين الشياطين يفعلون بهم ما يشاؤون: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٥].

ذلك، ومن ولاية الشياطين للذين لا يؤمنون معاكسة الحقائق، إراءة للفاحشة الطائشة أنها بأمر الله، وللطاعة الربانية أنها بأمر الشيطان:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

هنا تبريرٌ أول لافتعال الفاحشة: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ وسنة الآباء القُدامى حجة على الأولاد، وتبريرٌ ثان زعم أنه يؤكّد صالح ذلك التقليد الأعمى: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾ وذلك كمثل طوافهم - ولا سيما النساء[٦] عراة، وصلاتهم عند البيت مكاء وتصدية وما أشبه، حيث كانوا يعتبرونها من العبادات المأمور بها!.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨٣.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٤) سورة محمد، الآية: ١٧.
(٥) سورة الصف، الآية: ٥.
(٦) وقد كن ينشدن قولهن في طوافهن: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فما أحله.

وكيف؟ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[١] - ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[٢].

تأويل عليل لمشيئة الله خلطاً لتكوينيتها بتشريعيتها، أن عقائدنا وأعمالنا الشركية ليست لتتخلف عن مشيئة الله، فإن الله غالب على أمره؟

رغم أنه يشاء تكويناً ما لا يشاؤه تشريعاً قضية الابتلاء بالاختيار، ولو أنه يشاء كلّ ما يحصل من عباده تشريعاً، كما يشاؤه تكويناً، لتناقضت المشيئتان التشريعيتان! بحق الصالحين والطالحين.

﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الأوغاد المناكيد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ في شرعته، مهما لا يمنع عنها تكويناً في محنته، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سواء بصبغة علمية فلسفية في صيغة الجبر، أم جاهلية فوضى جزاف دون أي سناد مهما كان بصيغة علمية مرفوضة كهذه.

وقد يتعلق أمثال هؤلاء المجاهيل - كافرين أو مسلمين - بأمثال ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[٣] بتخيّل أن ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ هو فسق تحت الأمر، غفلة أو تغافلاً عن أن الفسق عن الأمر هو التخلف عنه، إذاً فـ ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بما نأمر ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ عن أمرنا تخلفاً عنه، كما و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾.

وتراهم كانوا ينسبون كلّ فاحشة يفعلونها إلى الله؟ نعم، في تأويلهم العليل للمشيئة الربانية، ولا، في غير ذلك التأويل[٤]، و﴿فَٰحِشَةً﴾ دون «فواحش» أم «كل فاحشة» علّها لشمول الأمرين.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٤) نور الثقلين ٢: ١٧ في أصول الكافي عن محمد بن منصور قال سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً...﴾ [الأعراف: ٢٨] قال فقال: هل رأيت أحداً زعم أن الله أمرنا بالزنا=

وتراهم يعتبرون ما يفعلونه من ﴿فَٰحِشَةً﴾ فاحشةً، ثم يبرّرون موقفهم منها بذلك نعم، في التأويل الأول، أم لأنها بأمر الله فليست - إذاً - فاحشة، ولا، في التأويل الثاني اللّهم إلّا من أرذلهم.

ثم هؤلاء الناكرون للوحي كيف يقولون ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾؟ إنه في التأويل الأول قولة فلسفية خيّلت إلى أهليها، وفي الثاني فرية جاهلة على الله يجمعها القول على الله بغير علم: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾:

«القسط» هنا هو العدل إلى الفضل، فإن منه فضلاً ومنه ظلماً، إعطاء لقسط فاضل أم أخذاً لقسط، فالقسط العدل مأمور به فرضاً والقسط الفضل ندباً، ومن المجموع ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ وهو السجدة بزمانها ومكانها واتجاهها[1]، وإقامة الوجوه هي لله عند كلّ مسجد بكلّ الوجوه، ظاهرة وباطنة، ثم ﴿وَٱدۡعُوهُ﴾: الله - عند كلّ مسجد ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾: الطاعة والعبادة، دون إشراك به في وجه من الوجوه ومنها الرئاء، فإنه تعالى ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾ لا سواه ﴿تَعُودُونَ﴾ إليه لا سواه، ويا لها من لقطة واحدة عجيبة، قفزة تجمع بين نقطة البدء في الرحلة الكبرى، ونقطة الانطلاق والنهاية.

= وشرب الخمر وشيء من هذه المحارم؟ فقلت: لا، قال: ما هذه الفاحشة التي يدعون أن الله أمرهم بها؟ قلت: الله أعلم ووليه، فقال: فإن هذا في أئمة الجور ادعوا أن الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمرهم الله بالايتمام بهم فرد الله ذلك عليهم فأخبر أنهم قد قالوا عليهم الكذب وسمّى ذلك منهم فاحشة، أقول: هذا من باب بيان مصداق مختلف فيه حينذاك بين مصاديق الوجه الثاني من ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [الأعراف: ٢٨].

(١) المصدر في تهذيب الأحكام من أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله عزوجل: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: هذه القبلة.

ثم لأن ﴿كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ تشمل مربع: السجدة، بزمانها، ومكانها واتجاهها، فالأمر - إذاً - يحلق عليها كلّها، مما يلمح صارحة برجاحة أم فرض الصلاة في المساجد، ومكية الآية - زعم أن الكعبة في العهد المكي لم يكن قبله بعد، ولم تكن في مكة مساجد آنذاك - لا تمنع عن الأمر لأداء الصلاة في المساجد، حيث الكعبة المباركة كانت هي القبلة في العهد المكي كما المدني إلّا شطراً قليلاً في ثاني العهدين[١] ثم كلّ مكان متخذ للصلاة مسجد لمتخذه وإن لم يكن مسجداً عاماً، وكما أمرنا أن نخصص أمكنة خاصة في بيوتنا للصلاة، وذلك عند إعواز المساجد الرسمية أم عسر الوصول إليها، ثم الآية المكية ليست لتحصر حكمها بالعهد المكي، كما المدنية لا تخص المدنيين، فالقرآن ككلّ شرعة عالمية تتخطى حواجز الزمان والمكان، مهما كان المخاطبون الأولون المكيين والمدنيين: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

وفي رجعة تفصيلية إلى ذلك المقطع اللّامع من لوامع الآية نتساءل:

هل المشابهة هنا بين البدء والعَوْد واقع؟ والبدء ولادة من الأرحام ابتداء ﴿بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[٢] والعَوْد لا يعرف صلباً ولا رحماً ولا أية ولادة!.

إنه في وجه المشابهة تشابه بين بدء الإنسان الأول حيث بدأنا به، وبين العَوْد ككلّ، فكما خلقنا الله أول مرة من تراب، كذلك يُعيدنا من تراب ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مرة أخرى.

وبوجهٍ ثانٍ ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ إنشاء من تراب كالإنسان الأوّل، أم انتشاء الأنسال كسائر الإنسان، ولم يعي بذلك الخلق الأول، كذلك ﴿تَعُودُونَ﴾

(١) لمعرفة التفصيل راجع البقرة على ضوء آيات القبلة.
(٢) سورة الطارق، الآية: ٧.

بنفس القدرة، و﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. وقد يعني التشبيه كلا الأمرين، تشبيهاً في القدرة بأولوية، وتشبيهاً في المنشأ بين البدء والعود، فـ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[١] ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾[٢]، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾[٤]؟.

فالقادر على البدء - وهو واقع لا مردَّ له - هو قادر - بأحرى - على الإعادة، كما هي الموعودة المتوقعة، وهما متماثلان في جذور الخلق الإنشاء، مهما اختلفا فيما يختص بكلّ واحد قضية نشأته.

إذاً فلكلّ منا ترابه المخصوص به دون الزائد الملحق المدسوس من أجزاء آخرين، أم أجزاء غير أصيلة في تكوُّنه، فكما أن كلًّا منا خلق من خاصة نطفته أول مرة، فهو العائد بها مرة أخرى مهما التحق بها ما يعيش كلّ معها طول عمره دون فصال، ولكن الأجزاء الأخرى العائشة معنا ردحاً ومع الآخرين ردحاً آخر أم على طول الخط، إنها ليست هي عائدة مع كلّ، بل هي عائدة لأشخاصها، أم بأشخاصها عن أصول الأبدان العائشة دوماً معها.

وبوجه ثالث كما قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس حُفاة عُراة غُرلاً[٥]

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣٤.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ١٩.
(٥) مفتاح كنوز السنة عنه ﷺ نقلاً عن: بخ - ك ٨١ ب ٤٥، مس - ك ٥١ ح ٥٦ - ٥٨ قا، تر - ك ٣٥ ب ٣، ل ٤٤ سورة ١٧ ح ٧ وسورة ٢١ ح ٤ وسورة ٨٠ ح ٢، نس - ك ٢١ ب ١١٧ و١١٨، مج - ك ٣٧ ب ٣٣، مى - ك ٢٠ ب ٨٢، حم - أول ص ٢٢٠ و٢٢٣ و٢٢٩ و٢٣٥ و٢٥٣ و٣٩٨ قا، ثالث ص ٤٩٥، سادس ص ٥٣ و٨٩، ط - ح ٢٦٣٨.

وقال علي عليه السلام: فجاؤوها حُفاة عُراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، والدار الباقية كما قال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1] [2].

ذلك، وقد تعني - فيما عنت - أن الآخرة هي مثال الدنيا، فكما بدأكم فريقين بما عملتم مهتدين وضالين، كذلك تعودون مهتدين وضالين دونما خلط ولا فوضى جزاف، ويؤيده:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بما اهتدوا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[3] ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ بما حقوها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾[4] فـ ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ متورطين في اللجج بعد بهور الحجج، ثم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ - ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[5].

أجل، فكما بدأوا الرحلة فريقين: آدم وزوجه، والشيطان وقبيله، كذلك يعودون كلٌّ مع إمامه الذي كان يأتم به، الصالحون مع أهل الله، والطالحون مع الشياطين.

ذلك، وترى كيف نقيم وجوهنا عند كلِّ مسجد؟ عراة كما خلقنا الله أم لابسين كما اختلقناه من ملابسنا؟:

---

(١) (الخطبة ١١٠).
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.
(٤) سورة الصف، الآية: ٥.
(٥) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾:

. . . لما أمر بالقسط فرضاً وراجحاً، فإليكم منها مصاديق: أخذ الزينة عند كلِّ مسجد، والقسط في الأكل والشرب دون إسراف، فالتبذير فيها محرم بأحرى، والإسراف فيها محرم دونه، والشبع دون إسراف غير محبور ولا محظور، ودون الشبع محبور.

ثم من ﴿زِينَتَكُمۡ﴾ هي الرياش: ملابس التجمل فوق ملابس الستر[١]، فكما من سوء الأدب أن نُصلّي عراة، كذلك أن نُصلي - فقط - مستوري العورات ومهما صحت الصلاة بذلك الستر القليل العليل في الفقه الأصغر، فهي ليست لتصح في الفقه الأكبر، وحين يجب أخذ لباس الزينة عند كلِّ مسجد فبأحرى لباس يُواري سوءاتكم، فالصلاة عارياً محرمة باطلة، وهي دون لباس الزينة - إن كانت صحيحة - عاطلة، ولأن ﴿خُذُواْ﴾ أمر يدل على فرض، فأخذ الزينة عند كلِّ مسجد فرض على فرض، إلّا أن يدل قاطع الدليل كتاباً أو سنة على عدم الفرض بعضاً مّا فتتقيد ﴿خُذُواْ﴾ به.

ذلك، ومن ﴿زِينَتَكُمۡ﴾ أموالكم وأولادكم وأهليكم، فـ ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾[٢] كما منها التمشط[٣] والتطيب.

---

(١) في الدر المنثور ٣: ٧٩ - أن رسول الله ﷺ قال: لا يصلّين أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء وفيه نهى رسول الله ﷺ أن يُصلي الرجل في لحاف لا يتوشح به ونهى أن يُصلي الرجل في سراويل وليس عليه رداء.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٣) نور الثقلين ٢: ١٩ في من لا يحضره الفقيه سُئل أبو الحسن عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] قال: من ذلك التمشط عند كلّ صلاة.
وفيه عن الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: تمشطوا فإن التمشط يجلب الرزق =

ولأن ﴿زِينَتَكُمْ﴾ لم تلحق بشيء من «معكم» حتى تختص بمعيتها كيفما كانت، ولا «عنكم» حتى تختص بتركها كذلك، فهي بين آمرة باستصحاب زينة كالملابس الواجبة والمسموحة زينة، وكذلك الأموال لإنفاقها على المحاويج، والأولاد لمشاركتهم في الصلاة، وبأحرى الأئمة العدول فإنهم زينة المساجد[1]، وسائر الزينة الإيمانية حيث تناسب الصلاة والمصلين معك، فلتكن معك الزينة الباطنة إلى الظاهرة ما يناسب كلّ مسجد وهو محبور، دون ما لا يناسبه وهو محظور، وناهية عن استصحاب زينة كالتي يحرم استصحابها للرجال مثل الذهب والحرير، في صلاة وسواها، أو الملابس المغتصبة أماهيه من محظورة، وملابس الزينة للنساء، المحظورة أمام الجماهير.

فـ ﴿زِينَتَكُمْ﴾ التي تزينكم إنسانياً وإيمانياً، خذوها معكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ حيث المحضر ربانياً وبشرياً يتطلب أدب الزينة.

ثم ﴿زِينَتَكُمْ﴾ الملهية المحظورة خذوها عنكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فـ ﴿خُذُواْ﴾ تعم المحظور إلى المحبور، خذوا معكم محبوراً وخذوا عنكم محظوراً، فلا يظن ظان أن مساجد الله التي هي محاضرة، أنها محاظر عن أخذ ﴿زِينَتَكُمْ﴾ ملابس وأموالاً وأولاداً، ولا أنها معارض لرعونات الزين الملهية.

وترى النعلين - وهما زينة الرجلين - هل هما من زينة الصلاة المعنية

= ويحسن الشعر وينجز الحاجة ويزيد في ماء الصلب ويقطع البلغم.
وفيه في تفسير العياشي عن الرضا عليه السلام قال: وهي الثياب، وفيه كان الحسن بن علي عليه السلام إذا قام إلى الصلاة يلبس أجود ثيابه فقيل له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي وهو يقول: خذوا زينتكم عند كلّ مسجد. فأحب أن ألبس أجود ثيابي.

(١) نور الثقلين ٢: ١٩ عن تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية يعني الأئمة.